

السلطة الفلسطينية ولعبة الانتخابات

بقلم: رائف حسين

بعد الثورة الديمقراطية في كل من تونس ومصر هبت رياحاً عاصفةً، ستتحوّل قريباً الى هوركان في البحرين، اليمن، الجزائر وليبيا. لقد شعر رجال السلطة في رام الله ومن يوجههم في تل ابيب، وواشنطن وبروكسل بالبرد والخوف. الخوف من الشعب. وهم محقون بخوفهم فإن انت العاصفة الى فلسطين سوف لن تدوم اياماً لتتحوّل الى هوركان يعصف بالجميع ويلقي بازلام سلام الاستسلام واجهزة قمعهم في قبو التاريخ.

رغم كل ما حصل حولهم إلا ان رجال السلطة ومن يوجههم لم يتعلموا من اخطاء وانزلاقات غيرهم. فهم ما زالوا يعتقدون بأن الشعب ابله وليبد. ومن السهل ان يتم الالتفاف على مطالبه والتخفيف من حدة غضبه ببعض الميكياج السياسي!!

إقالة الحكومة وتشكيل حكومة جديدة هي بدعة بالية من زمان ولى. هم يعرفون والشعب كله يعرف والعالم حولنا يعرف ايضاً ان رئيس الحكومة السابق والجديد، فياض، ليس خيار فلسطيني بل هو فرض وامر من الدول المانحة لا نقاش حولة. هو ومركزة فوق إرادة الشعب وفوق إرادة الرئيس الفلسطيني. الكل يعرف بأن ازلام فتح السلطة ومنذ زمن طويل يحاولون زيادة نفوذهم بالحكومة. فهؤلاء الفشلة يعتبرون فلسطين ارضاً وشعباً وسماًءاً مُلكاً خاصاً بهم ومن هذا المبدأ وعلى هذه القاعدة يتحركون. اذاً الحكومة الجديدة ما هي الا لعبة تبديل قبعات لإرضاء خاطر هؤلاء الذين لم يسرقوا كفايةً بعد لإعطاءهم فرصة، ممكن الاخيرة، لتعبئة حساباتهم البنكية في سويسرا.

الاعلان عن إجراء إنتخابات بلدية وتشريعية ورئاسية هو دون شك خدعة جيدة ومن لبدة افكار استراتيجيون قراء. أسميها خدعةً وليس خطوةً لأن جميع المؤشرات تدل على ان الهدف كان ارباك المعارضة الوطنية والاسلامية على السواء، وبرأيي كان هذا وللأسف ناجح، من ناحية اخرى كان الهدف ذر الرماد في عيون الشعب وضرب إسفين بين صفوف ابناء الشعب في الوطن وبين الشعب والمعارضة. كون الشعب متعطش للديمقراطية والمعارضة منقسمة على بعضها البعض وغير متهيئةً لانتخابات بهذه السرعة.

الاعلان خدعة لانه ايضاً لم يحدد موعداً دقيقاً لهذه الإنتخابات بل تركها نصف مفتوحة واكتفى باعلان نهاية ايلول موعداً لهذه الانتخابات لتميع الامر بنقاش عريض حول المواعيد وامكانيات تثبيتها. وهو خدعة لانه كما تبين لاحقاً بان عدد من اعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، والذي صدر الاعلان بأسمها، لم تدري بهذا القرار. ناهيك عن ان القرار، رغم بعده المصيري لشعبنا وقضيتنا، لم يكن نتيجة لمشاورات بين الفصائل ومؤسساتها القيادية، بل كان كما تبين، قرار فردي لبعض المتنفذين ومن خلفهم.

القاصي والداني يدرك بأن قانون الانتخابات الفلسطيني، ومنذ الانتخابات الاولى، كرس ديمقراطية مزورة وزرع بذور الانقسام والتفرد بالحكم. القانون الانتخابي الفلسطيني، ورغم التعديلات السطحية التي جرت عليه، هو قانون رجعي، تسلطي وامثاله موجودة فقط في دول دكتاتورية تقليدية. المناشدة من القوى الديمقراطية بتعديل الدستور ليتطابق مع خصوصيات بنية شعبنا الاجتماعية والسياسية واعتماد قانون انتخابي عصري يضمن التمثيل النسبي الكامل أسوة بالدول الحرة والديمقراطية في العالم لم تلق لاسف آذاناً صاغية عند فتح السلطة وحماس. الاعلان عن انتخابات دون التنويه لقاعدة اي قانون إنتخابي سيدلي الشعب بصوته، هو بحد ذاته خدعة ورياء.

كما نوهت له سابقاً فالمعارضة الوطنية والاسلامية وقعت في الشبك الذي نُصب لها من استراتيجي الدعوة للانتخابات وكان الرد القاطع للمعارضة على هذه الدعوة بكلمة لا. برأيي فأن هذا هو الرد الذي توقعه، لا بل اراده، مخططوا لعبة الانتخابات للخروج بعدها الى الشعب بالمقولة: نعم نحن، السلطة، اردنا إعطاء الشعب حقه الديمقراطي بانتخابات شاملة لجميع مؤسسات السلطة (رئاسة، تشريعي، بلديات) ومن يعارض هم الاخرون!!!

الرد السريع بكلمة لا القاطعة كان خطأ فادح ويدل على التخبط في صفوف المعارضة وعدم وضوح وانسجام الافكار والخطوات المستقبلية بين اطرافها . وهنا لا اقصد فقط الطرفين الاسلامي والوطني بل ايضاً وخصوصاً عدم الوضوح بالطرح والانسجام في صفوف المعارضة الوطنية والذي يتوقع الجميع منها موقفاً آخراً.

المعارضة الوطنية علنت رفضها لهذا الانتخابات كونها ستعمق الانقسام وطالبت باجراء الانتخابات بعد تحقيق المصالحة الكاملة!! وانضم الان سعادة الرئيس لهذا الكوراس... صباح الخير... غريب هذا التعليل وأن دل على شيء فهو يدل بوضوح ساطع على المأزق الذي تعيشه المعارضة باطرافها. الانقسام ايها السادة اصبح الصورة الاسطع لحالتنا الفلسطينية وبعد ان اصبح الانقسام في الوطن المحتل مكتملاً سياسياً، جغرافياً واجتماعياً فالتهديد بأن الانقسام سيتفاقم ما هو الا سوط كابح لا علاقة له بالواقع على الارض. نعم ايها القادة، الانقسام اوصلنا ال قاع البئر. وعليكم جميعاً ان تتذكروا بأن القيادة السياسية لشعبنا بأطيافها المتعددة فشلت بأنهاء الانقسام على مدار الاربع سنوات الماضية واذكركم في المعارضة الوطنية ان فتح السلطة وحماس لا يريدون مصالحة وإنما يريدون محاصصة. همهم ليس مصلحة الشعب ومصيرة بل همهم الحصول على حصة الاسد لاطعام قطعان مؤيديهم. نعم فرصتكم انتهت ايها القادة... انتم اثبتتم عجزكم عن انهاء الانقسام... الان الكلمة للشعب... الشعب يريد الوحدة... وحدة المصير، وحدة القرار، وحدة المقاومة ووحدة الاخوة وانتم عائق امام طموحات الشعب.

صاحت حماس معللة رفضها للانتخابات بان الرئيس وحكومته يفتقدان للشرعية... تناسى الاخوة بحماس امرين في غاية الاهمية: الاول بأن الاحتلال الصهيوني هو عملياً الجهة

الرسمية الاولى والاخيرة التي تعطي الشرعية الفعلية لاية حكومة فلسطينية ولاي مجلس تشريعي فلسطيني. وانتم يا شيوخ جربتم هذا الامر بعد الانتخابات الاخيرة. الاحتلال هو الذي رفض اعطاءكم الشرعية ولحق به من لحق. الامر الثاني بأن اللجنة التنفيذية هي المخولة بهذه الخطوة اصلاً ومنظمة التحرير هي هوية شعبنا وشرعيته الوحيدة, رغم الخلل والعبث الذي الحقوه بها هؤلاء المنتفعون المتنفذون, منظمة التحرير هي صمام الامان لوحدة الشعب الفلسطيني اينما تواجد وهي الضمانة بأن يبقى مطلب حق العودة للاجئين حي. وبوضعكم علامة سؤال على شرعية الشعب وعلى ممثله الشرعي والوحيد انما تتفخون ببوق اعداء شعبنا, وهذا لا يليق بكم, وتعرضوا وحدة شعبنا وتواصله للخطر... وعليكم تذكر ردة فعل شعبنا في الوطن المحتل في المهاجر وفي الوطن المحتل عام 48 على محاولاتكم خلق بديل عن م ت ف. هذا هو الانقسام الثاني الذي يخاف منه الشعب... فالاحرى بكم سماع صوت الشعب قبل فوات الاوان.

الكلام دار حول انتخابات شاملة, رئاسية, تشريعية وبلدية... ولنفترض لوهلة قصيرة بأن ما ساقته به الاطراف من حجج وعلل لعدم اجراء انتخابات رئاسيه وتشريعية صحيح, مع العلم بان اعضاء التشريعي هم مباشرة اعضاء مجلس وطني وهم الاعضاء الوحيدون المنتخبون ديمقراطياً للمجلس الوطني, وهذه الحقيقة يدركها الجميع من معارضة وسلطة... وجميعنا يتتوق لدمقرطة المجلس الوطني... رغم هذا كله اطرح سؤال على الناطقون ب اللا, لماذا تعارضون انتخابات بلدية؟ علماً منكم بان البلديات والمجالس المحلية تسهر على خدمة الشعب واموره اليومية.

ما يشتمه المواطن العادي بأن امر الشعب ومصالحته الوطنية لم تعد تدرج على سلم اولويات معظم الفصائل والاحزاب الفلسطينية وقياداتها. وهذا امر طبيعي برأيي اذ ان دافع حب البقاء على الحياة غريزة انسانية وتأتي دائماً في اعلى درجات سلم الاولويات. ومعظم هؤلاء الساسة القائمون على الاحزاب والفصائل يقاتلون بكل ما اوتوا من قوة للبقاء!!!

كل عاقل وسهران على المصلحة الوطنية يطرح اسئلة بسيطة ومصيرية علينا جميعاً التدقيق بها والبدء بوضع سلم اولويات لعلنا الوطني يبدأ بالمصلحة العليا وينتهي بالهم اليومي للمواطن دون الاخذ بعين الاعتبار هؤلاء الذين فشلوا في العشرين سنة الماضية من البدء حتى بالتفكير... انا استغرب من المعارضة وموقفها الم يكن احري بها ان تقبل بالانتخابات؟؟ وتصحح المسار وتطرح للملأ بدل اللا العدمية نصف نعم براغماتية تطالب بالتالي:

لماذا لا نستجوب الشعب ونسأله ان كان اصلاً يريد سلطة فلسطينية مصيرها مرتبط بالاحتلال. اهم شخص به ينتهي مفعول صلاحيته امام حاجز لجيش الاحتلال يقف عليه

جندي دون العشرين؟؟؟ لماذا لا نستجوب الشعب ان اراد اصلاً سلام استسلام واذعان كالذي بني عليه العرش الفلسطيني الذي يتصارع عليه القادة؟؟؟؟

لا حاجة لان تكون عبقرى سياسىة لتعرف بان المستفيد من الانقسام هم اثنان: الاحتلال بالدرجة الاولى وبالدرجة الثانية. هؤلاء القادة اللذين اتوا بالانقسام ومن حولهم من عميان ومتطفلين... اليس الاهم والافضل ان نسأل الشعب المتضرر من الانقسام ان كان هو اصلاً يريد هذا العار؟؟؟

انا متأكد بانكم ايها الساسة مدركون كل ما كتبته خير ادراك لكنكم ما زلتم تؤمنون بانكم تستطيعون ذر الرماد بعيون الشعب بالكلام عن انتخابات وشرعية وديمقراطية ورئاسة والخ... مع علمكم بان شعبنا لن يسكت بعد ولن يكتفي بهذا الفتات... فما لكم الا ان تصحوا قبل فوات الاوان وصفير العاصفة يُسمع من بعيد ويقتررب يوماً بعد يوم.